على طريق الاتفاق ...
تفتيت القوى العربية

منذ البداية ، سارت التسوية المطروحة ، بتنسيق تام وواضح بين اسرائيل واميركا ، نحو الالتفاف على مؤتمر جنيف ، وباتجاه السير « خطوة ـ خطوة » على طريق الاتفاقات الثنائية المرحلية . والمعروف ان مؤتمر جنيف كان مشروعا مصريا ، بينما كان الحل المرحلي اسرائيليا ، طرح حتى قبل حرب تشرين . ولكن سرعان ما تنازل الرئيس السادات عن مشروعه ، الذي كان طرحه اثناء الحرب ، وارتبط هو ايضا بعجلة الحل المرحلي . ومن المؤكد ان هذا هو الطريق الانسب لتنفيذ الاهداف الاميركية في المنطقة . والتقى هؤلاء جميعا مع النظام الاردني في تأييد التسوية المرحلية ، بينما بقي الاتحاد السوفياتي يعارض هذا الخط ، ويدعو الى عقد مؤتمر جنيف ، ومعه من المشاركين اصلا في المؤتمر ، سوريا فقط . وهكذا بدأت اسرائيل العمل بنجاح على تفتيت القوى العربية ، وعلى تصديع الصف العربي ، الذي تكون بصورته الهشة في حرب تشرين . وبمساندة من الولايات المتحدة ، التي تتستر بالحياد ، كانت اسرائيل تمهد الطريق للانفراد بكل جبهة عربية على حدة ، والضغط عليها لتليينها من اجل دفعها في الاتجاه المرغوب .

ومن مراقبة مسار التسوية ، وكذلك من اقوال الرئيس السادات الاخيرة ، يمكن تحديد الاسلوب الاميركي ـ الاسرائيلي في المفاوضات ، والذي اتاح لهما التحكم بمسارها . ويبدأ هذا الاسلوب بالترهيب الراجح على الترغيب الى ان يعدل الطرف المعني عن مواقفه السابقة . وعندها يرتفع الترغيب ليغلب في تقرير المواقف السياسية ، من كل مسألة على حدة ، حساب الربح والخسارة ، مما يحول دون رؤية القضية باكملها ، ويؤدي بالتالي الى التناقضات في الجانب العربي . ويقول الرئيس السادات انه منذ نهاية الاسبوع الاول من القتال في اكتوبر ، كان بالفعل يقاتل امريكا . وهو طبعا لم يكن يستطيع ذلك . وايضا ، عندما قرر « تصفية الجيب الاسرائيلي » غربي القناة ، ابلغه كيسنجر ، بما لا يقبل التأويل ، ان امريكا ستحول دون ذلك . ومن هنا توصل الرئيس السادات الى القناعة بان امريكا « تملك ٩٩٪ من اوراق اللعبة في الشرق الاوسط ، ان لم تكن تملكها كلها » . وبعد ان سلم الرئيس السادات بهذه الفرضية ، لم يعد هناك كبير فائدة في ترهيبه ، فبدأ الترغيب . وانجرفت القيادة المصرية في الاغراءات الاميركية ، والتي يكثر الحديث عنها في الصحف المصرية ، وخاصة في كلام الرئيس السادات نفسه . فهو ، على حد قوله ، يتطلع الى الكثير الكثير من زيارته المقبلة الى الولايات المتحدة .

وقد اتبع الاسلوب ذاته مع سوريا ، الا انه لم يحرز هناك نفس الدرجة من النجاح . وليس ادل على ذلك من قول وزير حربية العدو ، شمعون بيرس ، من ان المطلوب الان هو دفع الوضع السوري بالاتجاه المناسب ، بحيث يصل الى ما كان عليه الوضع المصري في بداية عام ١٩٧٤ . وهذا يعني ترهيب سوريا الى حد الاقتناع بهيمنة امريكا على الوضع في الشرق الاوسط ، والتسليم لاغراءات الترغيب . وفي تقدير بيرس ان ذلك يتطلب فترة زمنية قد تطول الى ثلاث او اربع سنوات . وهي فترة سريان مفعول الاتفاق الراهن مع مصر . وبالنسبة الى سوريا ، لا يزال الغالب في هذا الخط سياسة الترهيب ، والتي قد تؤدي الى نشوب حرب جديدة ، لا تخفي اسرائيل هدفها منها ـ تحطيم قدرة سوريا القتالية . ومع ذلك ، فان كيسنجر لا يفوته التعريج على دمشق